

فذكر الأماكن العربية في الجزيرة والتفنى بالاطلال في مطالع القصائد والحديث الطويل من النوق واستمطار الغيث يتردد في شعره مرة ومرة ، بل إن كثيرا من سورته وتشبيهاته مستمدة من أطره الثقافي لا من رؤاه المعاصرة . وإذا كان البارودي قد نفى في أعقاب الثورة العربية ، فقد استمرت مدرسته وكان عبد المطلب خير نموذج يمثلها . ونحن عبد المطلب كان بدويا ، فهو أصيل في حديثه عن كثير من تلك المضامين (١) . ولنا نجد شاعرا آخر لعلمه لم يرتبط بالموروث ارتباط بقية الشعراء ، بل ارتبط بالثقافة الفرنسية والفكر الغربي — بحفر رافدا جديدا في تيار الشعر العربي الحديث ذلك هو مطران الذي يعتبر رائد المدرسة الابتدائية ، وقد أحدث ديوانه الأول الذي ظهر عام ١٩٠٨ نجة في الأوساط الأدبية .

فما موقف شاعرنا البكري من هذين الاتجاهين ؟ لم تنس بعد الاتجاه الذي اتجه إليه في نثره من قبل ، فقد كان مصدرا لعصره بأدوات قديمة . ولكنه كان يلقي بتلك الأدوات بعيدا في خطاباته ودراساته . ومعنى آخر إن الموروث المقدس كان يتغلب على الجديد الذي رآه في أوروبا وفي قراءاته للأدب الغربي ، ولكن شعره لم يكن قادرا على أن يتجاوز من ظلال هذا الجديد . وفي نفس الوقت كان شوقي يحاول التجديد في رفق واحتياط حتى لا يجابه الناس بالجديد . فهما من مدرسة واحدة ثقافتها العربية عميقة وثقافتها الغربية واسعة مع اختلاف هنا أو هناك في العمق أو السعة ولكن البكري كان بشده الموروث بينما كان شوقي يجذبه الجديد فيحتاط في محاولاته .

ومن هنا وجدنا شعر البكري بصورة عامة تعبيرا عن مشاعره في مواقف خاصة كالمدح أو الوصف أو الرثاء أو الغزل أو الحكمة ،

(١) راجع فصل « الشعراء المحافظون » في تطور الشعر العربي في مصر .